شرح حديث الحقيقة المنسوب للعلَّامة الحِلِّيّ جمال الدين الحسن بن يوسف ابن المطهَّر (ت٧٢٦هـ)

حقَّقه وقدَّم له وعلَّق عليه

أيُّوب ناصر نعمة

مركز تراث الحِلَّة

Explanation of Hadith Alhaqiqat attributed to the Scholar Al-Hilli, Jamal al-Din Al-Hasan ibn Yusuf ibn Al-Mutahhar (D. 726 AH)

Edited, introduced, and annotated by

Ayyub Nasir Ni'mah

Hilla Heritage Center

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على محمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين.

أُوجِز كلامي في هذا التقديم في محاور:

المحور الأوَّل:

ما دعاني لنشر شرح حديث الحقيقة المنسوب للعلَّامة الحِلِّيّ مرَّةً أُخرى بعد أن نُشر ثلاث مرَّات[1] [2]، عدَّة أسباب:

السبب الأوَّل: كونه نُشر في ضمن رسائل، والعنوان يوهم القارئ أنَّ الكتاب فارسيٌّ؛ ولذا لم ينتشر بين القرَّاء العرب، فسعيتُ في إفراده في بحثٍ؛ كي يتنَّسى قراءته بالعربيَّة، ويأخذ مكانه الطبيعيَّ، ولا يكون مغمورًا في مجموعةٍ غير منتشرةٍ، ولا معروفةٍ على نطاقٍ واسعٍ.

السبب الثاني: ما نُشر في الطبعة الأوَّلى والثانية نصٌّ غير محقَّقٍ؛ إذ كانتا بطبعةٍ حجريَّةٍ قديمةٍ غير محقَّقةٍ.

السبب الثالث: حاول المحقِّق في الطبعة الثالثة أن يضبط نصَّه مع مقابلته لنسخٍ مخطوطةٍ فحسب، من دون تعليقٍ أو استخراجٍ للمصادر، وغير ذلك، وحاولنا أن نُخرج الشرح بصورةٍ أفضل.

---

(١) يأتي تفصيل هذه الطبعات.

(٢) تُرجِم هذا الشرح للعلَّامة الحِلِّيّ إلى اللغة الفارسيَّة، وطُبع مع مجموعة شروح على حديث الحقيقة، بعنوان: (جام مرصع).

السبب الرابع: سعيتُ أن أقدِّم مقدِّمةً حول نسبة هذا الشرح للعلَّامة الحِلِّيّ، ودراسة الآراء المطروحة في النِّسبة، والخروج بترجيح أحد الأقوال؛ وهذا ما لم يحرَّر في الطبعات السابقة.

المحور الثاني:

نصُّ المحاورة بين أمير المؤمنين عليه السلام، وكميل بن زياد (رضوان الله عليه)، فسأل كميل بن زياد النخعي عن الحقيقة، فقال (صلوات الله عليه): «**ما لَكَ وَالْحَقِيقة؟**».

فقال كميل: أوَلَسْتُ صاحِبَ سِرِّك؟!

قال: «**بَلى، وَلكنْ يَتَرَشَّحُ عَلَيْكَ ما يَطْفَحُ مِنِّي**».

قال: أوَ مِثْلُكَ يُخَيِّبُ سائِلًا؟!

فقال عليه السلام: «**الحَقِيقَةُ كَشْفُ سُبُحاتِ الجَلالِ مِنْ غَيْرِ إشارَة**».

قال كميل: زِدْنِي.

قال عليه السلام: «**مَحْوُ المَوْهُومِ مَعَ صَحْوِ المَعْلُوم**».

قال: زِدْنِي.

فقال عليه السلام: «**هَتْكُ السِّتْرِ عِنْدَ غَلَبَةِ السِّرِّ**».

قال: زِدْنِي.

قال عليه السلام: «**جَذْبُ الْأَحَدِيَّةِ بِصِفَةِ التَّوْحِيد**».

فقال: زِدْنِي بَيانًا.

قال عليه السلام: «**نُورٌ يَشْرُقُ مِنْ صُبْحِ الْأَزَلِ، فَيَلُوحُ عَلى هَياكِلِ التَّوْحِيدِ آثارُه**».

قال: زِدْنِي.

فقال عليه السلام: «أَطْفِئِ السِّراجَ، فَإِنَّ الصُّبْحَ قَدْ طَلَع»[1].

المحور الثالث:

مصادر الحديث المعروف بحديث الحقيقة، فهذه جملة ممَّا توفَّر لي من مصادر الحديث، بحسب التسلسل التأريخيّ، وهي:

١. العلَّامة الحِلِّيّ جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهَّر (ت٧٢٦هـ)[2] في الشرح المنسوب إليه، وهو الذي يمثل بين يديك[3].

٢. عبد الرزَّاق الكاشانيّ (ت٧٣٠هـ) مجموعة رسائل ومصنَّفات كاشانيّ: ٦٤٠.

٣. داود القيصريذ (ت٧٥١هـ) في شرحه على التائيَّة الكبرى لابن الفارض: ١٩٣.

٤. السيِّد حيدر بن عليّ الآمليّ (ت٧٨٢هـ) في تفسيره المحيط الأعظم والبحر الخضم: ٢/ ١٦١.

٥. محمَّد الأسيريّ اللاهيجيّ (ت٩١٢هـ) في مفاتيح الإعجاز في شرح گلشن راز = (مفاتيح الإعجاز في حديقة الأسرار): ٩٣.

٦. الشيخ محمَّد تقي المجلسيّ (ت١٠٧٠هـ)، في كتابه: روضة المتَّقين في شرح مَن لا يحضره الفقيه: ٢/ ٨٢.

---

(١) روضة المتَّقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٨٢.

(٢) يمكن مراجعة ما كتب عن العلَّامة الحِلِّيّ والاطِّلاع على تفاصيل حياته في: أعيان الشيعة: ٥/ ٣٩٦، أمل الآمل: ٢/ ٨١، الكنى والألقاب: ١٠٠، رياض العلماء: ١/ ٣٦٦.

(٣) سيأتي تفصيل هذه النسبة ووجه التمسك بها إن شاء الله تعالى.

٧. الشهيد القاضي نور الله الشوشتريّ (ت١٠١٩هـ) في مجالس المؤمنين: ٢/ ١١.

٨. عليّ خان بن أحمد المدنيّ الشيرازيّ (ت١١٢٠هـ) في كتابه: الطراز الأوَّل والكناز لما عليه من لغة العرب المعوَّل: ٤/ ٣٢٠.

٩. الميرزا حبيب الله الهاشميّ الخوئيّ (ت١٣٢٤هـ) في كتابه: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة وتكملة منهاج البراعة: ٢/ ٣٠٥.

١٠. روضات الجنَّات للسيِّد محمَّد باقر الخوانساري (ت١٣١٣هـ): ٦/ ٦٢.

١١. عبد الله بن نور الدين الجزائريّ (ت١١٧٣هـ) في كتابه: التحفة السنيَّة في شرح النخبة المحسنيَّة: ٢٠.

١٢. ملَّا هادي السبزواريّ (ت١٢٨٩هـ) في شرح الأسماء: ١٣١.

وهناك مصادر كثيرة سيأتي ذِكر بعضها في شروح الحديث هذا، وحسبي ما أشرتُ له مخافة الإطالة.

ولعلَّ أقدم مصدر لحديث الحقيقة، بحسب ما توفَّر لي من مصادر، ما ذكره العلَّامة الحِلِّيّ قدس سره، وحتَّى لو لم تصحّ هذه النسبة، تبقى هي أقدم مخطوطة تنقل لنا هذه المحاورة الرائعة، مع أنَّ هناك جملة من المرجِّحات على أنَّها للعلَّامة الحِلِّيّ، وإن شاء الله سأذكرها في محلِّها، فترقَّب.

ويُحتمل أنَّ هناك كتب مخطوطة نقلت المحاورة، غير أنَّه لم يتسنَّ لي معرفتها، واختصرت كلامي على المطبوع منها.

المحور الرابع:

ويكمن في شرَّاح الحديث، فقد تصدَّى جملة من الأعاظم لشرحه وبيانه، فذكر جملة منها صاحب الذريعة:

١. شرح حديث الحقيقة والخمس كلمات فيه، وهو منسوب إلى العلَّامة الحِلِّيّ جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهَّر المتوفَّى سنة ٧٢٦هـ.

٢. شرح حديث الحقيقة للمولى محمَّد حسين بن الآغا باقر البروجرديّ، ذكره ولده الآغا نور الدين على ظهر (النصِّ الجليّ).

٣. شرح حديث الحقيقة للمولى عبد الرحيم بن محمَّد يونس الدماونديّ الأصفهانيّ مجاور المشهد الحسينيّ، والمتوفَّى في حدود سنة ١١٦٠هـ، وهو مدرج في كتابه (مفتاح أسرار الحسينيّ) الذي ألَّفه في كربلاء.

٤. شرح حديث الحقيقة للمولى عبد الرزَّاق بن عليّ بن الحسين اللاهيجيّ القمِّيّ المتوفَّى سنة ١٠٥١هـ.

٥. شرح حديث الحقيقة للميرزا محمَّد بن سليمان التنكابنيّ، صاحب (قصص العلماء)، والمتوفَّى سنة ١٣٠٢هـ، ويظهر من فهرس كتبه أنَّ له شرحًا آخر على هذا الحديث أيضًا.

٦. شرح حديث الحقيقة للشيخ عزِّ الدين محمود بن عليّ بن أبي طاهر الكاشانيّ، وهو مختصر في أربع صحائف، أوَّله: سأل كميل بن زياد.. إلخ، ضمن مجموعة في (مكتبة السيِّد محمَّد المشكاة) في طهران.

٧. شرح حديث الحقيقة لمظفَّر عليّ شاه الكرمانشاهيّ المتوفَّى سنة ١٢١٥هـ، من أجزاء مثنويَّة (بحر الأسرار).

٨. شرح حديث الحقيقة للشيخ مفيد المتخلِّص بداور ابن الميرزا محمَّد نبي الشيرازيّ المتوفَّى سنة ١٣٢٠هـ.

٩. شرح حديث الحقيقة (فارسيّ) للمولى عبد الله والد المولى عليّ الزنوزيّ المدرِّس، ألَّفه باسم السلطان فتح عليّ شاه القاجاري سنة ١٢٤٥هـ. نسخة منه في (مكتبة السيِّد محمَّد المشكاة) في طهران، وتاريخ كتابتها ١٢٤٧هـ، واسمه (الأنوار الجليَّة في كشف أسرار الحقائق العلويَّة).

١٠. شرح حديث الحقيقة لبعض الأصحاب، رأيته (أي: الآقا بزرك الطهرانيّ) ضمن مجموعة كلُّها بخطِّ الشيخ عبد عليّ الزنجانيّ، كتبها سنة ١٣٥٠، أكثرها من تصانيف محمود دهدار[١].

ويقول الشيخ حسن زاده الآملي: «نقل حديث الحقيقة جملة من العلماء، كالشيخ البهائيّ في كشكوله، والسيِّد حيدر الآمليّ في جامع الأسرار، والقاضي نور الله في مجالس المؤمنين، وعبد الرزاق اللاهيجيّ في شرح حديقة الأسرار، والمحدِّث القمِّيّ في سفينة البحار، وشرحهُ كثير من أساطين الحكمة والعرفان..»[٢].

وقام المحقِّق السيِّد محمود الطاهريّ بجمع سبعة وعشرين شرحًا عربيًّا[٣]، وفارسيًّا، وطُبِعت تحت عنوان (جام مرصع).

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٨/ ١١٨. بتصرُّف
(٢) هزار و يك نكته: ٥٦٣.
(٣) ما كان عربيًّا نقله إلى الفارسيَّة.

المحور الخامس: نسبة هذا الشرح للعلَّامة

وفيه أمورٌ:

الأمر الأوَّل: النسخ الخطيَّة لهذا الشرح:

أ) المكتبة المركزيَّة لجامعة طهران، تحت رقم: ١/ ١٠٣٦ (الفهرس، ج٣، ص٤٦٠).

ب) مكتبة كليَّة الحقوق في جامعة طهران، تحت رقم: ٣٠ د (الفهرس، ص٣٧٣).

ج) مكتبة مجلس الشورى، تحت رقم: ٣٢/ ٤٩٠٠ (الفهرس، ج١٤، ص٦٧).

د) مكتبة مجلس الشورى، تحت رقم: ٤٠/ ١٨٠٥ (الفهرس، ج٩، ص٣٤٥).

هـ) مكتبة مجلس الشورى، تحت رقم: ٣/ ٦١١٢ (الفهرس، ج١٩، ص٩٩).

الأمر الثاني: طُبِع شرح حديث الحقيقة المنسوب للعلَّامة الحِلِّيّ في كتاب ضمِّ مجموعة من رسائل الأعلام بعنوان: (كلمات المحقِّقين)[1] الصادر سنة ١٣١٥ هـ، ثُمَّ

(١) هذا الكتاب طُبع في جزأين، وتضمَّن الرسائل الآتية: ١. ضوابط الرضاع للمير داماد. ٢. خلق الأعمال، له أيضًا. ٣. مفهوم الوجود، أيضًا له. ٤. الرضاعيَّة للمحقِّق الثاني. ٥. قاطعة اللجاج، له أيضًا. ٦. صيغ العقود، له أيضًا. ٧. تحديد الكر للمجلسيّ. ٨. الرضاعيَّة للقطيفيّ. ٩. سراج الوهَّاج في نقض قاطعة اللجاج، أيضًا للشيخ إبراهيم القطيفيّ. ١٠. الرضاعيَّة، أيضًا للمجلسيّ. ١١. الخراجيَّة للأردبيليّ. ١٢. الخراجيَّة (المختصرة لها). ١٣. الخراجيَّة في انتصار الكركيّ والردّ على الأردبيليّ والقطيفيّ للشيبانيّ. ١٤. السعديَّة للعلَّامة الحِلِّيّ. ١٥. شرح كلمات الخمس، للحِلِّيّ أيضًا. ١٦. الاعتماد. ١٧. الفخريَّة للمحقِّق. ١٨. الميراثيَّة للعميديّ. ١٩. الحريريَّة للبهائيّ. ٢٠. ذبيحة أهل الكتاب، له أيضًا. ٢١. الجبر والاختيار للبهبهانيّ. ٢٢. الجبر والاختيار للطوسيّ. ٢٣. خلق الأفعال للدوانيّ. ٢٤. الجبر والاختيار للفيض. ٢٥. رسالة في الوجود لمير سيِّد شريف الگرگانيّ. ٢٦. سرُّ الصلاة لابن سينا. ٢٧. الأعيان الثابتة لمحيي الدين العربيّ. ٢٨. الغيبة للسيِّد المرتضى. ٢٩. أحكام أهل الآخرة، لعلم الهدى أيضًا. ٣٠. مسألة العصمة، للسيِّد المرتضى أيضًا.

طبع هذا الكتاب في قم المقدَّسة، منشورات مكتبة المفيد في سنة ١٤٠٢هـ، وعنوان شرح العلَّامة في هذا الكتاب: (شرح كلمات الخمس)، ثُمَّ قام المحقّق مهدي المهريزيّ بضبط نصِّه بالاعتماد على نسخٍ مخطوطةٍ منه، وتقديم مختصر جدًّا عنه باللغة الفارسيَّة، وطبع في مجلة: (ميراث حديث شيعة)، العدد الثالث، تحت عنوان: (شرح حديث حقيقت = شرح حديث الحقيقة).

الأمر الثالث: ثمَّة تشكيكٌ في نسبة هذا الشرح إلى العلَّامة الحِلِّيّ، وهناك أراءٌ في النسبة، وهي:

الأوَّل: ما سجَّله المرحوم السيِّد محسن العامليّ (ت١٩٥٢م) في أعيان الشيعة، من أنَّ هذا الشرح للعلَّامة الحِلِّيّ[1]، فنسب السيِّد هذا الشرح للعلَّامة من دون تردُّد في ذلك.

الثاني: ذكر المرحوم آقا بزرك الطهرانيّ (ت١٩٧٠م) قولَين:

(أحدهما): للعلَّامة الحِلِّيّ، بعد ذِكره كتاب (كلمات المحقِّقين)، فقال: «رسالة شرح كلمات الخمس للحِلِّيّ أيضًا»[2].

(ثانيهما): التشكيك وعدم الجزم بأنَّه ليس للعلَّامة الحِلِّيّ، فقال: «شرح حديث الحقيقة والخمس كلمات فيه منسوب إلى العلَّامة الحِلِّيّ جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهَّر، المتوفَّى سنة ٧٢٦هـ. أوَّله: الحمد لله الذي نطق ذاته بصفاته، وحجب صفاته بأفعاله..».

إلى قوله: «أمَّا بعد، فقد التمس منِّي أخٌ في الدين أن أكتب رسالة موجزة في شرح كلام سيِّد الوصيِّين عليه السلام..».

(١) يلاحظ: أعيان الشيعة: ٤٠٧.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٨/ ١١٨.

طُبع ضمن مجموعة (كلمات المحقِّقين) سنة ١٣١٥هـ، والظاهر، بل المقطوع به كذب النِّسبة، كما يتَّضح ذلك لكلِّ مَن له معرفة بكلمات العلَّامة وطريقته، لاسيَّما وأنَّ فهرس مؤلَّفاته موجود ومضبوط، وليس فيه أثر لهذا الكتاب، فلعلَّه للمولى جلال الدوَّانيّ؛ لأنَّه يحيل إليه في (رسالة خلق الأعمال)، معبِّرًا عنه بشرح الكلمات الخمس لأمير المؤمنين عليه السلام»[1].

ومفاد القول الثاني نفيه عن العلَّامة، واحتمال كونه لجلال الدين الدوانيّ[2].

ويلاحَظ عليه: ما ذَكره من قرائن بنفيه عن العلَّامة الحِلِّيّ لا ترقى للقطع، وهذا واضح جدًا، والتعبير في هذه المواطن بالقطع فيه مسامحة، فهذه النسب في الثبوت والنفي مساحتها في أحسن حالاتها الظنُّ، فكيف عبَّر المرحوم الطهرانيّ بالقطع!؟

ومن هنا أنَّ ما قاله لا يورث القطع والجزم؛ فلا برهان ولا دليل يركن إليه في المقام.

وأمَّا قوله: «بل المقطوع به كذب النسبة، كما يتَّضح ذلك لكلِّ مَن له معرفة بكلمات العلَّامة وطريقته»، فالظاهر، وإن لم يصرِّح به قدس سره أنَّ طريقة هذا الشرح طريقة الفلاسفة والعرفاء، والمشهور عن العلَّامة غير هذا، مع أنِّي أعتقد أنَّ البُعد الباطنيّ العرفانيّ، أو عبَّر عنه بالمعنويّ الأخلاقيّ للعلَّامة، لم يحرَّر إلى الآن، ولم يُنظَّر له، والإغفال عن هذه الجنبة له بسبب شهرته بأنَّه فقيهٌ أُصوليٌّ متكلِّمٌ، ولم يُلتَفت على أنَّه فيلسوفٌ، وله

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٣/ ١٩٧.

(٢) العلَّامة جلال الدين الدوَّانيّ، هو: محمَّد بن أسعد الصدِّيقيّ الدَّوَّاني، جلال الدين، قاضٍ يُعدُّ من الفلاسفة. ولِد في دوان (من بلاد كازرون)، وسكن شيراز، وولي قضاء فارس، وتوفِّي بها عام ٩١٨هـ. له حاشيةٌ على شرح القوشجيّ لتجريد الكلام، وحاشيةٌ على تحرير القواعد المنطقيَّة للقطب الرازي، وشرح العقائد العضديَّة، وشرح هياكل النور للسهروردي، وغيرها. يراجع: هداية العارفين أسماء المؤلِّفين وآثار المصنِّفين (بتصرُّف): ٢/ ٢٦٣.

اليد الطولى في التصوُّف والعرفان، ممَّا يدعو للأسف، ومنشأ غضِّ الطَّرف عن هذَين البُعدَين في شخصيَّة العلَّامة ذي شجون، لا يحتمله هذا المختصر[1].

ولا أريد أن أقول إنَّ العلَّامة الحِلِّيّ من المتصوِّفة أو العرفاء بالمصطلح الفنِّيّ النظريّ، ولكن ما أريد قوله إنَّ ذلك ليس بسديد، فتصوير العلَّامة بذلك المجادِل في الكلام، والفحل في الأُصول، والبارع في الفقه، دون النظر إلى ما له من الجنبة المعنويَّة.

ولا أعتقد أنَّ اسلوبه في هذا الشرح إلَّا لتناسبه والمشروح، وهذا ديدن العلَّامة، فنراه في غاية المرام ذلك الجدليّ، ونراه في الأُصول متربِّع على عرشهم، ونطالعه في الأسرار الخفيَّة ذلك الفيلسوف المحقِّق، ولعلَّ العلَّامة تأثَّر بالشيخ نصير الدين الطوسيّ (ت٦٧٢هـ) أُستاذه، بعد ما دار من مراسلة بين المحقِّق الطوسيّ والشيخ صدر الدين القونويّ (ت٦٧٣هـ)[2]، وتغيَّر نظر الطوسّي في مصادر المعرفة وقيمتها المعرفيَّة وغيرهما، وهذه المراسلة متوفِّرة ممكن الاطِّلاع عليها، وما جاء فيها لا يُنبئ في ظاهره أنَّ الشيخ الطوسيّ كاتب التجريد، وأساس الاقتباس، ومصارع المصارع، وغيرهم؛ للاختلاف في المنهج ونظريَّة المعرفة في تقرير المعارف وتقييمها.

(١) لعلَّ هناك بعض الأبحاث في هذا السياق باللغة العربيَّة، ولكن لم ترقَ إلى مستوى بيان منهج العلَّامة الحِلِّيّ في هذا المجال. نعم، هناك محاولات من الباحثين الإيرانيِّين في بُعد العلَّامة الفلسفيّ والعرفانيّ، ولهم في ذلك مقالات وأبحاث، من رامَ الاطِّلاع عليها، عليه بملاحقتها والتعرُّف على جوانب من شخصيَّة العلَّامة لا زالت خافية.

(٢) صدر الدين القونويّ، نسبةً إلى (قونية أي تركيا): تلميذٌ ومريدٌ وربيب محي الدين بن عربيّ (ت٦٣٨هـ). ويُعدُّ القونوي أفضل شارح لأفكار ابن عربيّ، وكتبه من الكتب الدراسة، ولا زلت تدرَّس في بعض الحوزات العلميَّة، في قسم العرفان الإسلاميّ، ككتاب مفتاح الغيب، والفكوك. توفِّي ٦٧٣هـ. هداية العارفين: ٢/ ٣٨٩، وإيران والإسلام: ١٤٨.

وأيضًا ما كتبه الشيخ نصير الدين الطوسيّ في كتابه النفيس (أوصاف الأشراف) على طريقة العرفاء، وصرَّح بأهمِّ أساس في العرفان النظريّ، وهو وحدة الوجود؛ إذ يقول: «لا شريك له في الوجود»[1].

وكيف ما كان، فلا يُعدُّ الأسلوب دليلًا؛ فهذا الشيخ الطوسيّ، مع أنَّه مشهورٌ عنه أنَّه مشائيٌّ، نراه يكتب بطريقة العرفاء، ويقول بمقالتهم، مع وجود تقاطع بين الاتِّجاهين، والعلَّامة الحِلِّيّ ليس بدعًا من ذلك. وعلى كلِّ حالٍ، يحتاج البحث إلى وقفة مطوَّلة في هذا المجال، ليس محلُّها الآن، وليس ما ذكرته إلَّا لأُلفت النظر إلى هذا الموضوع.

وقوله: «إنَّ فهرس مؤلَّفاته موجود ومضبوط، وليس فيه أثر لهذا الكتاب»، فيه: أنَّ هذا الشرح عبارة عن رسالةٍ، وليس كتابًا، ويُحتمل أنَّها بقيت عند السائل إلى أن ظهرت الخطيَّة لها، وهذا معمولٌ فيه، فإنَّ العلماء لا يعدُّون ما يصدر عنهم من أجوبة من مؤلَّفاتهم، وإذا جاء الاحتمال، بطل الاستدلال.

الثالث: ما ذهب إليه الشيخ حسن زاده الآمليّ، فقال: «طُبع شرح حديث الحقيقة طبعة حجريَّة، ونُسب إلى العلَّامة الحِلِّيّ خطأ، وإنَّما هو للقطب الشيرازيّ[2]»[3].

(١) أوصاف الأشراف، الفصل الرابع، الباب الخامس.

(٢) هو محمود بن مسعود بن مصلح، قطب الدين الشيرازيّ: قاضٍ، علم بالعقليَّات، مفسِّر، ولِد بشيراز عام ٦٣٤هـ، و كان أبوه طبيبًا فيها، فقرأ عليه، ثمَّ قصد نصير الدين الطوسيّ وقرأ عليه، ودخل الروم، فولي قضاء سيواس وملطيه، وزار الشام، ثمَّ سكن تبريز، وتوفِّي بها عام ٧١٠هـ. من كتبه: فتح المنَّان في تفسير القرآن، نحو ٤٠ مجلَّدًا، منه الجزء الأوَّل مخطوط، وحكمة الإشراق، وشرح كليَّات القانون في الطبِّ لابن سينا، ومفتاح المفتاح في البلاغة، وغرَّة التاج في الحكمة، ونهاية الإدراك في دراية الأفلاك، في علم الهيئة، وشرح الأسرار للسهروردي، ورسالة في بيان الحاجة إلى الطبِّ والأطبَّاء ووصاياهم، و غير ذلك. راجع: هداية العارفين: ٢/ ٣٨٩، وإيران والإسلام: ١٤٨. بتصرُّف

(٣) هزار و يك نكته: ٥٦٣.

فما قرَّره الشيخ حسن زاده الآمليّ لا دليل عليه، ولم يُشِر لأيِّ قرينة أو مؤيِّد لما ادَّعاه.

ولكن من البعيد أنَّ الآمليّ لا يملك دليلًا أو قرينةً، أو أنَّه اعتمد على الأسلوب، كما ذهب إليه الطهرانيّ.

وعلى كلِّ حالٍ، نأخذ ما قاله الآمليّ على نحو الاحتمال في المسألة، وتأتي تتمَّة الكلام عن هذا الرأي.

الرابع: ما ذهب إليه السيِّد عبد العزيز الطباطبائيّ في كتاب مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ، فقال: «شرح حديث الحقيقة، طُبِع منسوبًا إلى العلَّامة الحِلِّيّ في مجموعة (كلمات المحقِّقين) سنة ١٣١٥»[١].

ثُمَّ قال في التعليقات: «لم ينسبه أحد إلى العلَّامة الحِلِّيّ، وطُبع منسوبًا له من دون ذِكر مصدرٍ يُعتَمد عليه في هذه النسبة»[٢].

ويُفهَم من عبارته الاحتمال وعدم الجزم بنسبته للعلَّامة الحِلِّيّ، والسبب لا يتوفَّر لدينا مصدرٌ معتبرٌ يُثبت ذلك، وعليه يبقى في دائرة الإمكان، وإلَّا لقطع بعدم نسبته، فربَّما جعله في دائرة الإمكان، كما جعلناه؛ لأنَّه لم ينسبه لأحد، بخلاف من تقدَّمه، فأحدهما نسبهُ لجلال الدين الدوَّانيّ، والآخر نسبهُ للشيرازيّ.

ما يهمُّني من كلامه هو الإمكان، واحتمال النسبة، وهذا ينفعنا فيما بعد، فانتظر بيانه.

الخامس: ما ذكره الشيخ جعفر السبحانيّ: «شرح حديث الحقيقة والخمس كلمات

(١) مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ١٣٢.
(٢) المصدر نفسه: ٢٤٥.

فيـه = شرح الكلمات الخمس في حديث الحقيقة لأمـير المؤمنين عليه السلام، جلال الدين محمَّد ابـن سـعد الـدوَّانيّ (٨٦٨-٩٠٨هـ)، طُبع ضمـن مجموعـة (كلمات المحقِّقين) سـنة ١٣١٥هـ، ومنسـوبًا إلى العلَّامة الحِلِّيّ، وهي نسـبة غير صحيحـة؛ لأمرَين: لعدم ذِكره في فهرس مؤلَّفاته أوَّلًا، ولعدم ذِكره في مصدر يُعتمد عليه بنسـبته إليه ثانيًا. وأمَّا نسبته لجلال الدين الدوَّانيّ؛ لأنَّه يُحيل إليه في رسالته (خلق الأعمال)[1]»[2].

هذا الرأي تقريرٌ لما تقدَّم من أقوال الأعلام في المقام.

ويلاحَظ على هذا القول: قد تقدَّم الكلام على الأمر الأوَّل والثاني، وأمَّا نسـبته إلى الـدوَّانيّ بدليل أنَّه: «وأمَّا نسـبته لجلال الدين الدوَّاني؛ لأنَّه يُحيل إليه في رسـالته (خلق الأعـمال)»، فهذا لا يُعـدُّ دليلًا؛ لأنَّ ليس هنـاك أحد من المحقِّقين ينسـب هذا الشرح للدوَّانيّ. نعم، احتملهُ صاحب الذريعة، وتقدَّم الكلام حوله.

ولعلَّه نشأ التوهُّم من عبارة الدوَّانيّ في رسالته خلق الأعمال: «ولا أجد من الوقت المسـاعدة للخوض فيه، فإنَّه بحرٌ عميـق، ويكفي في تحقيق هذه المرتبة الكلمات الخمس المأثورة عن أمير المؤمنين ويعسـوب الموحِّدين عليّ بـن أبي طالب عليه السلام، في جواب كميل ابن زياد، صاحب سرِّه، وقابل جوده وبرِّه»[3].

ويلاحَـظ عليه: ما قالـه المحقِّقون له الكلمات الخمـس، لا شرح الكلمات الخمس هذا **أوَّلًا**[4].

وثانيًا: لم يذكر أحد من المحقِّقين للدوَّانيّ هكذا كتاب، أو شرح، أو رسالة.

(١) هذه الرسالة منشورة مع الرسائل المختارة: ٧٦.
(٢) معجم التراث الكلاميّ: ٤/ ٥٣.
(٣) الرسائل المختارة: ٧٦.
(٤) كما في عبارته المتقدِّمة في رسالته: خلق الأعمال.

ثالثًا: إنَّ المرحوم الطهرانيّ قال: «يُحتَمل للدوَّانيّ»، ولم يجزم.

رابعًا: نفى الشيخ حسن زاده الآمليّ ذلك عبر نسبته الكتاب إلى القطب.

وفي ضوء هذه المعطيات والأقوال المتعارضة في نسبة هذا الشرح للعلَّامة الحِلِّيّ أو لغيره من الأعلام، وجدت ثلاثة احتمالات، هي:

١. نسبتهُ للعلَّامة الحِلِّيّ.

٢. نسبتهُ للمحقِّق الدوَّانيّ.

٣. نسبتهُ للقطب الشيرازيّ.

ولا نملك دليلًا على أنَّ هذا الشرح لأحد هؤلاء بنحوٍ قطعيٍّ ويقينيّ، وأعني باليقين هنا أعلى درجات الاطمئنان، لا اليقين المنطقيّ[١]، ويعبَّر عنه باليقين العرفيّ[٢]، وهو كافٍ في المقام، وفي هكذا حالة نعتمد على حشد القرائن على أحد الآراء المطروحة، كي تكون مرجِّحة لأحد الأقوال، ونرفعه شيئًا فشيئًا من حيِّز الاحتمال إلى حيِّز الترجيح من بين الاحتمالات الأُخرى، وهذا الأسلوب معمول به في العلوم والفنون، إذ يقول الشيخ مصباح اليزديّ: «هناك ارتكاز عند العقلاء والعلماء إذا تعذَّر اليقين، وكان هناك ظنٌّ ينبغي تقويته وتقريبه من العلم، وهذا حال أيِّ فن.. الاستفادة من القرائن، ومحاولة التقليل من ورود احتمال الخلاف، والسعي للتقرُّب إلى العلم»[٣].

(١) وهو العلم بثبوت شيء لشيء، واستحالة سلبه عنه، أي إن هذا الثبوت ذاتيّ ودائميّ وكلِّيّ. فاليقين المنطقيّ مركَّب من علمين، وما لم ينضم العلم الثاني إلى العلم الأوَّل، لا يعتبر يقينًا في منطق. لاحظ: كتاب البرهان، لابن سينا: ٢٨.

(٢) اليقين العرفيّ: هو أعلى درجات الاطمئنان في مقابل الظنِّ والشكِّ والوهم، وهذا النحو من اليقين يرد عليه احتمال الخلاف.

(٣) لاحظ: مجله معرفت = مجلَّة المعرفة، العدد١٥٢: ٢٠.

وما نحن فيه من هذا القبيل، فيمكن ترجيح أن يكون هذا الشرح للعلَّامة، وذلك عبر قرائن:

١. ما قاله صاحب أعيان الشيعة العامليّ، فإنَّه إذا لم يكن دليلًا عليه، فهو مؤيِّدٌ، فمن البعيد جدًّا أن يُطلق هذه النسبة جزافًا، أو بالاعتماد على ما نُشِر في كلمات المحقِّقين من نسبته للعلَّامة الحِلِّيّ.

٢. ما نُشِر في كتاب كلمات المحقِّقين. ذكر الناشر إحدى وثلاثين رسالة ونسبها إلى أصحابها بشكلٍ صحيح، وأخلَّ بهذه النسبة واشتبه ونسبها إلى العلَّامة! فلعلَّه وقف على نسبة في كتاب قبله ولم يُشِر له، ويبقى هنا الاحتمال قائمًا.

٣. ما سجِّل في النسخ الخطيَّة من نسبتها للعلَّامة، فمن البعيد أن يحصل الخطأ في نسبة ثلاث مخطوطات إلى العلَّامة.

والجدير بالذِّكر أنَّ المرحوم الطهرانيّ لم يُشِر إلى كونه قد رأى مخطوطة لهذا الشرح، كما هي طبيعته أن يذكر أنَّه رأى كذا مخطوطة بكذا مكان، ويبدو لي أنَّه لو اطَّلع الطهراني لغيَّر رأيه، فلا أقلَّ من أنَّ قطعه سيهتز.

٤. لم يذكر أحدٌ من المحقِّقين أنَّ هذا الشرح للدوَّانيّ، وإلَّا لتمسَّك به الطهرانيّ والطباطبائيّ، ولَمَا أثبته العامليّ للعلَّامة الحِلِّيّ، ولم ينسبه الآمليّ لغير الدوَّانيّ.

٥. وأمَّا نسبته للقطب الشيرازيّ، فضلًا عن أنَّ أحدًا لم يذكره له، فلم يعطِ الآمليّ دليلًا على ذلك، فيسقط ترجيح هذه النسبة، وترتفع نسبته للعلَّامة الحِلِّيّ[1].

(١) لإثراء الموضوع ممَّن سجَّل هذا الشرح للعلَّامة الحِلِّيّ: المعجم الشامل للتراث العربيّ المطبوع (المستدرك): ٢/ ٥٠، ومعجم المطبوعات العربيَّة في إيران: ٢٩٨.

والظاهـر أنَّ أوَّل من نفى نسـبتهُ للعلَّامـة الحِلِّيّ هو الطهرانيّ، وتبـيَّن أنَّه لا يملك دليلًا فيما صرَّح به، وإنَّما هي قرائن غير تامَّة، ثُمَّ تبعه جملة من العلماء على ذلك، كما تقدَّم ذِكرهم.

ولا اعلم لِـمَ هذا الإصرار على النفي، مع أنَّ هناك كتبًا ورسـائل لعلماء ثبتت بأقل من هذه الدلائل والقرائن، وهذا معروف ومشهود عند المحقِّقين، ولا أريد أن أخوض في المنهـج الـذي يُؤمِّن لنا الطريق لإثبات أي كتاب لمؤلِّفه، وحسـبي ما ذكرته؛ خشـية الاطالة، وهو يكفي في المقام.

وبعـد هذه الجولـة في كلمات الأعلام ودراسـتها، أتصور بأنَّ الأمـر بات واضحًا في ترجيـح هذا الـشرح للعلَّامة الحِلِّيّ. نعم، لسـنا ندَّعي الجزم واليقـين، بل هناك ثمَّة مرجِّحات في هذا السياق، تورث نحو ظنٍّ أنَّها للعلَّامة الحِلِّيّ.

هـذا، ولعلَّ في قابل الأيَّام تظهـر مخطوطات أُخرى تثبت أو تنفي ما نحن بصدده، فما توصلتُ إليه في هذا البحث، بحسب ما توفَّر لي من المعطيات في هذا الوقت ونطاقه، لا يتجاوز الظنَّ في أحسن أحواله، والله أعلم بالمستقبل.

المحور السادس: منهج الشارح

منهج الشارح، سواء قلنا بأنَّه للعلَّامة الحِلِّيّ أم لا، هو مزيج من الآيات والروايات، والمنهـج العرفـانيّ، والمباني الفلسـفيَّة، ويقترب هـذا المنهج من منهج الحكمـة المتعالية الـذي أبدعه صـدر الدين محمَّد بن إبراهيم الشـيرازيّ (١٥٧٢-١٦٤٠م)، فالشـارح نـراه اعتمد على الرواية لعضد المعنى، وذكر مبنًى فلسـفيًّا لتقريب الفكرة، ونقل أقوال العرفـاء في التطبيقات، فكان الشـارح جوَّالًا بين تلك العلـوم، محاولًا تقريب مضمون الحديث الشريف في عباراتٍ مختصرةٍ موجزةٍ، فللَّه درُّه، وعليه أجره.

عملي في هذا الشرح

هنا أمران:

الأوَّل: عملي في التقديم، فقمتُ بتسليط الضوء على جملة من مصادر حديث الحقيقة، وبعض شروحاته.

وسعيتُ قدر الإمكان من تتبُّع الآراء في نسبة هذا الشرح، ومحاولة الترجيح بين الأقوال، كما بيَّنتُ منهج الشارح، ومصادره المعرفيَّة فيه.

الثاني: عملي في الشرح، فقد استخرجتُ ما اعتمده الشارح من مصادر، فقمتُ بترجمة الأعلام الواردة أسمائهم في هذا الشرح، وأشرتُ إلى تعريف بعض الاصطلاحات الواردة في النصِّ، ونوَّهتُ على مراجعة أهمِّ المصادر لمن رامَ التوسُّع في بعض المطالب.

ونبَّهتُ على اختلاف النسخ المخطوطة للشرح، والمعتمدة، وهي ثلاث، والتي قام بضبط نصِّها المحقِّق مهدي المهريزيّ:

١. نسخة المكتبة المركزيَّة، جامعة طهران، ورمزها (أ).

٢. نسخة مكتبة كليَّة الحقوق، جامعة طهران، ورمزها (ب).

٣. نسخة مكتبة مجلس الشورى، ورمزها (ج).

فما ذكرته في الأصل، هو المنشور في كلمات المحقِّقين، وأشرتُ في الهامش لما وقع من اختلافٍ في النسخ المتقدِّمة (أ) و(ب) و(ج).

نصُّ الشَّرح

[بسم الله الرحمن الرحيم]

الحمـدُ للهِ الذي نَطَقَ [بَطَنَ][1] ذاته بصفاته، وحَجَبَ صفاته بأفعاله، وخَفى فِعالَه بآثاره، ثـمَّ ظهر للعالمين آثاره، وكشـفَ للمريدين أفعاله، وتجلَّى عـلى الأولياء صفاته، وتحقَّق للأنبياء ذاته.

والصلاة على نبيِّه محمَّد[2] أكمل الموجودات، وأفضل المخلوقات، وعلى أئمَّة الدين وخزَّان اليقين.

أمَّـا بعـد، فقد التمـس منِّـي أخٌ في الدين أن أكتب رسـالةً موجـزةً في شرح كلام [أخي][3] سـيِّد الوصيِّين [المرسَلين][4]، وإمام العارفين عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين صلـوات الله وسـلامه عليه، حين سـأله كميل بن زيـاد النخعيّ ﷺ عـن الحقيقة، فقال صلوات الله عليه:

«مَا لَكَ وَالْـحَقِيقة؟».

فقال كميل: أوَلَسْتُ صاحِبَ سِرِّك؟!

قال: «بَلى، وَلكنْ يَتَرَشَّحُ عَلَيْكَ ما يَطْفَحُ مِنِّي».

(١) من نسخة (أ) و(ب).
(٢) سقطت من (ب).
(٣) من (أ).
(٤) من (أ) و(ب).

قال: أوَ مِثْلُكَ يُخَيِّبُ سائِلًا؟!

فقال عليه السلام: «الحَقِيقَةُ كَشْفُ سُبُحاتِ الجَلالِ مِنْ غَيْرِ إشارَة».

قال كميل [فقال][1]: زِدْنِي.

قال [فقال][2] عليه السلام: «مَحْوُ الْمَوْهُومِ مَعَ صَحْوِ المَعْلُوم».

قال: زِدْنِي.

فقال عليه السلام: «هَتْكُ السِّترِ عِنْدَ غَلَبَةِ السِّرِّ».

قال [فقال][3]: زِدْنِي.

قال [فقال][4] عليه السلام: «جَذْبُ الأَحَدِيَّةِ بِصِفَةِ [لصَفْوِ][5] التَّوْحِيد».

فقال: زِدْنِي بَيانًا.

قال [فقال][6] عليه السلام: «نُورٌ يَشْرُقُ مِنْ صُبْحِ الأَزَلِ، فَيَلُوحُ عَلى هَياكِلِ التَّوْحِيدِ آثارُه».

قال: زِدْنِي.

فقال عليه السلام: «أَطْفِئِ السِّراجَ فَإِنَّ الصُّبْحَ قَدْ طَلَع».

وأنا -بحمد الله- عارٍ عن هذا القسم، ومحرومٌ عن هذا السهم، وليس من حدِّي أن أشرع في شرح كلام سيِّد أولياء الله العِظام، ومَن يحسن في حقِّ كلامه

(١) من (أ) و(ب).
(٢) من (أ) و(ب).
(٣) من (أ) و(ب).
(٤) من (أ) و(ب).
(٥) من (ج).
(٦) من (أ) و(ب).

«كلام الملـوك، ملوك الكلام»[١]، وكيف يمكن الطيران بلا جنـاحٍ، والمبارزة في الميدان بلا سلاحٍ؟!

فلمَّا جاوز الحدُّ التماسـه منِّي، وطالَ [فَطـالَ][٢] اقتراحه عنِّي، ولم أجوِّز أن أرجعه خائبًا، وأعتزل عنه سـاكتًا [سـاكبًا][٣]، فشرعـتُ في شرح هذه الكلـمات [العالية][٤]، العلويَّـة [العُلْويَّـة][٥]، والألفـاظ الإماميَّـة الوَلَويَّة بـإذن الباطن وإشـارة القلب، مع اشـتغالي بمصالح الخلائق، وتعلُّقي بأنـواع العلائق [الخلائق][٦]، وأسـأل اللهَ التوفيق لإتمامه، وتحقيق الحقِّ بواسـطة إلهامه، والعِصمة مـن الخطأ والزلل، والإصابة في القول والعمل.

فأقول، وبالحقيقة ما أقول: إنَّ هذا السـؤال عن كشـف الحقيقـة، والحقيقة[٧] كلٌّ، والكلُّ أصلٌ، وما سـواها الجـزء والفرع. وكيف يبحث عنها أحـدٌ، وكلُّ ما قيل إنَّه[٨] حقيقةٌ، فالحقيقة بخلافه؟!

و[٩]كما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «**كُلُّ ما خَطَرَ بِبالِكَ أَوْ تَصَوَّرَ بِخَيالِكَ، فَاللهُ تَعالى بِخِلافِ ذلِك**»[١٠].

(١) مثل دارج: كلام الملوك، وملوك الكلام.
(٢) من (أ).
(٣) من (أ).
(٤) من (ب).
(٥) من (ج).
(٦) من (ب).
(٧) في (أ): «والحقيقة الكلُّ والأصل»، وفي (ب): «كلُّ الكلِّ والأصل».
(٨) سقطت من (ب).
(٩) سقطت من (أ) و(ب).
(١٠) لم أعثر عليه في مظانه.

ولا يمكن الجواب عن كشف الحقيقة إلَّا من آثارها على طريق الرمز والإشارة، كما قال عليه السلام: «الْحَقِيقَةُ كَشْفُ سُبُحاتِ الجَلالِ مِنْ غَيْرِ إشارَة»؛ وذلك لأنَّ الله تعالى محجوبٌ بصفاته، وصفاته الجلاليَّة تتعلَّق [متعلّق][1] بذاته، وصفاته الجماليَّة تتعلَّق [متعلّق][2] بأفعاله. فالسالك[3] الطالب للحقِّ إذا سلك المفاوز الجسمانيَّة، وعبر عن البحار الروحانيَّة، وصل إلى صفات الجمال، ثُمَّ إلى صفات الجلال، فإذا جاوزهما تجلَّى له الحقيقة.

وقوله عليه السلام: «مِنْ غَيْرِ إشارَة».

اشارة إلى أنَّ الله تعالى منزَّه عن أن يكون مشارًا إليه أو [و][4] يكون له حدٌّ ونهاية؛ لأنَّ هذه الصفات من صفات المحدثات، وأنَّ [إلى][5] قوله عليه السلام: «فَاللهُ بِخِلافِ ذلِك».

ثُمَّ إنَّ السؤال كان في ماهيَّة الحقيقة، والجواب ليس من ماهيَّتها، بل من آثارها، و هذا شرط الأدب، وكمال المعرفة، كما سأل [موسى][6] فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[7]، فأجاب موسى عليه السلام: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[8]؛ أي عارفين بأنَّ الجواب ليس إلَّا هذا.

(١) من (أ).
(٢) من (أ) و(ب).
(٣) السالك: «من ترقَّى في إرادته بالسلوك على المقامات، ولم يصل بعدُ إلى مقام المعرفة، فرتبته فوق المريد، ودون العارف، ولا يُطلَق السالك عند الطائفة إلَّا على مَن مشى على المقامات بحاله، لا بعلمه فكان العلم له عينًا». لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام: ٢/ ٤٢١.
(٤) من (أ).
(٥) من (أ) و(ب).
(٦) من (ج).
(٧) الشعراء: ٢٣.
(٨) الشعراء: ٢٤.

ثُمَّ قال كميل: «زِدْنِي»، وهو في عين السلوك يريد الوصول، الذي هو نهاية مراتب السالكين.

فأجاب عليه السلام بما أجاب، وهو إشارةٌ إلى مرتبة اليقين المجرَّد.

ولم يقنع بذلك، والتمس مرتبة عين [علم][1] اليقين، فأجاب عنه ثانيًا بقوله عليه السلام: «مَحْوُ الْمَوْهُومِ مَعَ صَحْوِ الْمَعْلُوم».

لأنَّ الحقيقة إذا كشف عن [عنها][2] صفات الجلال التي تتعلَّق بالذات، وأدرك أثره[ها][3] السالك، انمحى وهمه، وزال عنه شكُّه وظنُّه، وشاهد آثار الحقيقة بنور علم اليقين.

ثمَّ لم يقنع كميل بمرتبة علم اليقين، والتمس منه مرتبة عين اليقين، فأجاب عليه السلام: بأنَّها: «هَتْكُ السِّتْرِ عِنْدَ غَلَبَةِ السِّرِّ».

وذلك لأنَّ السالك [السائل][4] إذا محا [انمحى][5] مظنونات وهمه عند انكشاف سبحات الجلال عن الحقيقة، فيصحو [يصحو][6] له المعلوم، ويعلم بعد علم اليقين علامات الحقيقة [فيغلب السرّ][7] عليه، وهو نور

(١) من (أ) و(ب).
(٢) من (أ) و(ب).
(٣) من (أ).
(٤) من (أ) و(ب).
(٥) من (أ).
(٦) من (أ).
(٧) ذكر العرفاء تفاصيل كثيرة للسِّرِّ وأقسامه و.. انقل هنا معناه عندهم فحسب، ومن أراد التوسُّع يرجع إلى المطوَّلات: «السِّرُّ: يعنى به حصَّة كلِّ موجودٍ من الحقِّ بالتوجه الإيجاديّ المنبَّه عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (النحل: ٤٠)، فقولهم: =

الحقيقة][1]، ويسكر السالك من شراب الوجد[2]، ويلبس عقله، ويهتك الستر عليه، وهو هو [ناموس][3] [4] من[5] الشَّرع والعقل، فعند ذلك يأخذ في الشطحيَّات[6]

=لا يحبُّ الحقَّ إلَّا الحقّ، و لا يطلب الحقَّ إلَّا الحقّ، ولا يعلم الحقَّ إلَّا الحقّ، إنَّما أشاروا بذلك إلى السِّرِّ المصاحب من الحقِّ للخلق.. فإنَّه هو الطالب للحقِّ والمحبُّ له، والعالم به». لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام: ٢/ ٤٢٤.

(١) من (أ) و(ب).

(٢) الوجد: «ما يصادف القلب من الأحوال المفنيَّة له عن شهوده». التعريفات: ١١٦.

الوجد: «هو حالة تشعر فيها النفس بالاتِّحاد بينها وبين حقيقة داخليَّة، هي الموجود الكامل، الموجود اللانهائي..». لاحظ: المعجم الفلسفيّ: ١/ ٢٨٤.

أهل الوجد: «هو فناء مَن فنى بالحقِّ كما عرفته، لكنَّه سمَّى فناؤه بفناء الوجد، لكون الوجد هو سبب فنائه، وذلك هو الذى يكون نفسه موجودة والخلق موجودين، إلَّا أنَّه لا علم له بهم، ولا بنفسه، ولا إحساس ولا خبر، ويكون ذلك لاستهلاكه في حضرات القرب، فهو لا يسعه حتَّى إدراكه لنفسه، فضلًا عن غيره من العالمين، ومثاله كمن دخل على ذي سلطان عظيم، فأذهله عن نفسه، وعن أهل مجلسه، بل وربَّما أذهله استعظام ذلك العظم عن رؤيته له، بحيث إذا خرج من عنده لم يمكنه استثبات شيء ممَّا كان في ذلك المجلس، حتَّى لو سُئِل عن هيئة المجلس، وملابس أهله، وترتيبهم فيه، لم يدرِ ما يقول، وكثيرًا ما يقع مثل هذا. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ (يوسف: ٣١)، فإذا كنَّ لم يجدن عند مشاهدة جمال يوسف ألم قطع الأيدي، وهو جمال صورة مقيَّدة..».

(٣) في (أ): « وهو ناموس».

(٤) الناموس: «هو الشرع الذي شرَّعه الله تعالى، أعني الإسلام، والناموس الأكبر: هو جبريل عليه السلام، ويُطلَق على الوحي، وأيضا الناموس صاحب السرِّ الخير، والجاسوس: ضدَّه، أي صاحب السرِّ الشَّرّ». التعريفات الفقهيَّة: ٢٢٥.

ويُطلق «(العقل الفعَّال): هو العقل العاشر المعبَّر في الشرع بالناموس الأكبر، وجبرئيل عليه السلام، وإنَّما سمَّى فعَّالًا لكثرة أفعاله وتصرُّفاته في عالم العناصر». جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: ٢/ ٣٢٩.

(٥) سقطت من (أ) و(ب).

(٦) هناك تعاريف وتفاصيل كثيرة عن الشطح وأسبابه وأقسامه و.. اختصر على ذِكر معناه بشكلٍ عامٍّ: «الشَّطح لغة الحركة، ويُقال: الطاحونة الشَّطَّاحة؛ لكثرة تحرُّك الرَّحى. ويُقال: شَطَح الماء=

والكلمات التي لا يجوز التكلُّم بها في الشرع[1]، كما روي عن أبي يزيد[2]قدس سره:

=في النَّهر إذا فاض من حافَّتيه؛ لكثرة الماء وضيق النَّهر. وعرفا: حركة أسرار الواجدين إذا قوي وجدهم، بحيث يفيض من إناء استعدادهم». الكاشي: ١٥١.

(١) يقول السيِّد محمَّد حسين الطهرانيّ في هذا السياق: «في كلِّ طائفة من أصحاب العرفان أفراد أقحموا أنفسهم بدون معرفة، نعم، لا ريب أنَّ كلَّ طائفة اندسَّ فيها مَن ليس من أهلها من الدخلاء وأهل الأهواء، حتَّى يكاد أن يغلبوا على أربابها الأصحَّاء، فلا ينبغي ضرب الجميع بسهمٍ واحدٍ، وأخذهم أو نبذهم على سواء.

كما أنَّ بعض المتطرِّفين المتوغِّلين في الغرام والهيام والشوق إلى ذلك المقام الأسمى، قد توقَّدت شعلة المعرفة في قلوبهم، فلم يستطيعوا ضبط عقولهم وألسنتهم، فصدرت منهم شطحات لا تليق بمقام العبوديَّة، مثل قول بعضهم: أَنَا الحَقُّ، و(مَا فِي جُبَّتِي إِلَّا الحَقُّ).

وأعظم منها في الجرأة والغلط والشطط قول بعضهم: سُبْحَانِي مَا أَعْظَمَ شَأْنِي. وهذه الكلمات قد حملها الثابتون منهم على أنَّها صدرت من البعض حالة المحو، لا حالة الصحو، وفي مقام الفناء في الذات، لا في مقام الاستقلال والثبات، ولو صدرت في غير هذه الحال؛ لكانت كفرًا.

على أنَّ المنقول عن الحلَّاج أنَّه قد قال للذين اجتمعوا على قتله: «اقْتُلُونِي! فَإِنَّ دَمِي لَكُمْ مُبَاحٌ! لأَنِّي قَدْ تَجَاوَزْتُ الحُدُودَ؛ وَمَنْ تَجَاوَزَ الحُدُودَ (اقِيمَتْ عَلَيْهِ الحُدُودُ)».

ولكنَّ العارف الشبستريّ التمس العذر لهذه الشطحات، وحملها على أحسن وجه، حيث قال: «من ذا يستطيع غير الحقِّ أن يقول أنَا الحَقُّ؟!.

وإذا صحَّ وحسن من الشجرة أن تقول: أَنَا اللهُ، فلماذا لا يحسن ذلك من العارف الحسن الحظ؟!». معرفة الله: ٣/ ١٩٤.

(٢) أبو يزيد البسطاميّ طَيفور بن عيسى الصوفيِّ الزاهد المشهور.

يقول ابن شهرآشوب (ت٥٨٨هـ) في المناقب، عن المحدِّث الشيخ محمَّد بن الحسين المحتسب في كتابه (رامش افزاي ال محمَّد): «إنَّ أبا يزيد البسطاميّ كان السقَّاء في دار الامام الصادق عليه السلام، قال: وكان أبو يزيد البسطاميّ طيفور السقَّاء خدمه وسقاه ثلاث عشرة سنة». المناقب: ٣/ ٣٧٢.

ونقل من العامَّة والخاصَّة ذلك، ويقول السيِّد حيدر الآمليّ (ت٧٨٢هـ): «أمَّا (ترتيب إسنادهم) إلى المشايخ، فمن جعفر الصادق عليه السلام إلى أبي يزيد البسطاميّ قدس سره، الذي كان تلميذه وسقَّاء داره، ومحرم أسراره، كما ذكره علماء الشيعة والسنَّة في كتبهم الكلاميَّة، عند نسبة جميع العلوم إلى أمير المؤمنين، ومنه الى أولاده ومريديه. وكان (الإمام جعفر) من خلفائه (أي الإمام عليّ) في هذا=

«سبحان [سبحاني][1] ما أعظم شأني!»[2]، وعن المنصور[3]: «أنا الحقُّ»[4]، وعن أبي سعيد[5] ﷺ: ليس في جُبَّتي إلَّا [سوى][6] الله»[7]، وأمثالها

=الباب (أي في نسبة جميع العلوم إليه)، وإلى الآن أصحابه ومريدوه عليه. و(ترتيب إسنادهم)». جامع الأسرار: ٢٢٥.

(١) من (أ).

(٢) قال السمعانيّ: «كان بايزيد يصيح: سُبحاني ما أعظمَ شأني. وهو القائل: سُبحاني سُبحاني». رَوح الأرواح في شرح أسماء الملك الفتَّاح: ١٢٩-١٣٢.

(٣) الحسين بن منصور الحلَّاج الصوفيّ الشهير، قُتِل في سنة ٣٠٩هـ ببغداد، اختلف الناس، حتَّى الصوفيَّة في حقِّه.

(٤) أخبار الحلَّاج، أو مناجيات الحلَّاج: ٨٣.

(٥) أبو سعيد أبو الخير: هو فضل الله بن محمَّد الميهنيّ، المتوفَّى عام ٤٤٠هـ، من مشاهير المتصوِّفة، له رباعيَّات معروفة، وكان معاصرًا لابن سينا، وحصل بينهما مباحثات، ويمكن متابعة آثاره وأقواله بمراجعة مثلًا: المكتوبات (السرهنديّ): ١/ ٤٣١، كشف المحجوب: ٣١، كنوز الحكمة: ٢٢٩، كشكول الشيخ البهائيّ: ١/ ١٢٩، وغيرها.

ولا بأس أن أنقل من شعره المشهور بالفارسيَّة:

عشق آمد و شد چو خونم اندر رگ و پوست تا کرد مرا تهی و پر کرد ز دوست
اجزای وجود من همه دوست گرفت نامی است ز من بر من و باقی همه اوست

ديوان رباعيَّات أوحد الدين الكرمانيّ: ٢٠٨.

وترجمته:

جاء الحبُّ وصار دمي في عروقي فأفرغني ثمَّ ملأني من حبٍّ صَدوقِ
وصار الحبيب كلَّ همِّي ووجودي فما بقي لي غير اسمي دون وجودي

(٦) من (أ).

(٧) تنقل هذه الجملة: «ليس في جبَّتي سوى الله»، أو: «ليس في جبَّتي إلَّا الله» للبسطاميّ، والحلَّاج، والجنيد البغداديّ، والشبليّ، ولأبي سعيد، والتحقيق في نسبة هذا القول لا يحتمله هذا المختصر، ومن رام الاطِّلاع يراجع على سبيل المثال: المقدِّمات من كتاب نصِّ النصوص: ٢٠٣، كليَّات عراقيّ: ٣٤٤، سرُّ الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار: ٥٥، لسان الغيب: ١٦.

[أمثالها][1]، فإن كانوا محفوظين بالعناية الأزليَّة، واظبوا [أضبطوا][2] في عين هذا السكر على الفرائض والسنن عند دخول أوانها، وإن لم يكن محفوظين، يجري عليهم أحوال وأمور خارجة عن الشرع والعقل، ويقول أهل الظاهر بكفرهم وزندقتهم[3] [4]. فإذا

(١) من (أ).

(٢) من (أ).

(٣) يقول المحقِّق نصير الدين الطوسيّ في هذا المجال: «قال الله تعالى سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (القصص: ٨٨).

التوحيد: هو اعتقاد وحدانيَّته تعالى، والاتِّحاد: الصيرورة شيئًا واحدًا. فهناك: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ (الإسراء: ٣٩)، وهنا: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾؛ وذلك لوجود شائبة التكلُّف في التوحيد، وهو ما لا يوجد في الاتِّحاد. إذًا فمتى ما أصبح التوحيد مطلقًا، وترسَّخ في الضمير، ولم يأخذ الثنائيَّة بنظر الاعتبار بوجهٍ أو بآخر؛ فإنَّه سيصل مرتبة الاتِّحاد.

وليس الاتِّحاد ما يتوهَّمه بعض قِصَار النظر من أنَّ المراد به هو اتِّحاد الله تعالى مع العبد، تَعالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

بل معناه أن يرى الجميع دون تكلُّف ذلك الذي يقول: ما سواه منه، إذًا فالجميع واحد، أي لأنَّه أبصر بنور تجلِّيه تعالى شأنه، فهو لا يرى أحدًا سواه، فلا يكون هناك من راءٍ ولا مرئيّ ولا رؤية، ويصبح الكلُّ واحد، وتكون مصداقًا لدعاء المنصور الحلَّاج الذي أنشد قائلًا:

بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِنِّيٌّ يُنَازِعُنِي ... فَارْفَعْ بِفَضْلِكَ إِنِّيِّي مِنَ البَيْنِ

فتزول إنِّيَّته ويُردِّد العبارة التالية ما استطاع: «أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا».

ونعلم أنَّ مَن قال: أَنَا الحَقُّ، وسُبْحَانِي مَا أَعْظَمَ شَأْنِي، لم يكن في مقام الادِّعاء بالإلوهيَّة؛ بل هو بذلك قد نفى إنِّيَّته، وأثبت إنِّيَّة الغير، وهو المطلوب». أوصاف الأشراف: ٩٧.

وهذا البيان من الطوسيّ يؤيِّد ما تقدَّم من أنَّه تغيَّر في منهجه وأسلوبه، فمن كان يتصوَّر أنَّ الطوسيّ يسلك هذا المنهج.

(٤) يقول السيِّد حيدر الآمليّ في هذا السياق: «وقوله (أعني الإمام) في (الخطبة الافتخاريَّة): «**أنا وجه الله. أنا جنب الله. أنا يد الله. أنا خليفة الله. أنا القلم الأعلى. أنا اللوح المحفوظ. أنا الكتاب المبين. أنا القرآن الناطق. أنا البرهان الصادق. أنا الموصوف بـ(لا فتى). أنا الممدوح في (هَلْ أَتى). أنا (الم ذلِكَ الْكِتابُ). أنا كهيعص. أنا طه. أنا يس. أنا طاء الطواسيم. أنا حاء الحواميم. أنا الصاد. أنا الصافَّات. أنا أنيس المسبِّحات. أنا القلم. أنا مائدة الكرم. أنا خليل جبرئيل. أنا=**

فارقـوا [أفاقوا][1] من سـكرهم، اعتذروا بما [ممَّا][2] جرى عليهم في حال السـكر من الشـطحيَّات وأمثالها، ونصحوا لمريديهـم أن لا يقولوا مثل ذلك، وأيـن [التراب و][3] ربّ الأرباب؟! تُبْ عـليَّ إنَّك أنت التوَّاب [الرحيم، و][4] أين العبوديَّة من الربوبيَّة؟! وأين المخلوقيَّة من الخالقيَّة؟!

ثـمَّ لم يقنـع كميـل لمرتبـة [بمرتبـة][5] علم اليقـين، والتمـس مرتبة حـقِّ اليقين، فأجاب عليه السلام بقوله: «**جَذْبُ الأحدِيَّةِ بِصِفَةِ التَّوحيد**».

معناه: إنَّ من هتك ستره من غلبة السرور.

=صفـيّ إسرافيل. أنا النبـأ العظيم الَّذِي هُمْ فِيـهِ مُخْتَلِفُونَ. أنا الأوَّل. أنا الآخـر. أنا الظاهر. أنا الباطن..» إلى آخر الخطبة، فإنَّها طويلة، كلُّها على هذا الأسلوب. وقد ذكر بعض ذلك القيصريّ في شرحه، وكذا كثير من المشايخ.

وهـذا الـكلام و إن كان عنـد بعض النـاس غير جائز شرعًـا، لكن مع تحقيق غـيره بأمثال هذه الأقـوال، هو جائز وألف جائز؛ لأنَّ الكلَّ من مشـكاته أخـذوا، ومن مشربه شربوا، وأوَّلهم أبو يزيد البسـطامي رحمه الله، فإنَّه قال: «سبحاني! سبحاني! ما أعظم شأني». وقال: «ليس في جبَّتي سوى الله!». وثانيهم الشـبليّ رحمه الله، فإنَّه قال: «مَن مثلي؟»، و«هل في الدَّارَين غيري؟». وثالثهم الخرقانيّ، الـذي قال: «أنا أقل من ربِّي بسـنتَين». ورابعهم الحلَّاج، فإنَّه قال: «أنا الحقُّ!». وخامسـهم أبو سـعيد بن أبي الخير، فإنَّـه قال: «إذا تمَّ الفقر فهو الله!». وسادسـهم النـوريّ، فإنَّه قال: «الفقير لا يحتاج إلى شيء، ولا يحتاج إليه شيء». وسـابعهم الخرَّاز، فإنَّه قال: «لا فرق بيني وبين ربِّي إلَّا أنِّي تقدَّمت بالعبوديَّة!». حتَّى قالوا:

سـبـحـان مـن أظـهـر نـاسـوتـه ... سـرُّ سـنـا لاهـوتـه الـثـاقـب
ثـمَّ بـدا في خـلـقـه ظـاهـرا ... في صـورة الآكـل والـشـارب»

المقدِّمات من كتاب نصِّ النصوص: ٢٠٣.

(١) من (أ).
(٢) من (أ) و(ب).
(٣) من (أ) و(ب).
(٤) من (ج).
(٥) من (ج).

[نـور[١] السِّـرِّ[٢]] وسكر[٣][يسـكر][٤] مـن شراب الوجـد الحقيقـيّ، ثُـمَّ نفس [يفيـق][٥] مـن سـكره، ويجلس على سريـر الصحـو، ويعلـم أن ليس في الوجـود إلَّا الله، وينتفـي الاثنينيـة بالكليَّـة؛ تمكَّـن مـن التوحيـد الحقيقـيّ، وهـو أن لا يجـري في الوجـود إلَّا الله الواحـد الحـقِّ، مـع وجود كثـرة المكوَّنـات، ويعلم أنَّ الآثـار مظاهر أفعالـه، والأفعـال مظاهـر صفاته [وصفاتـه][٦] ثابتـات لذاته، وهـذا مرتبـة عليَّة[٧]

(١) من (أ).
(٢) من (أ) و(ب).
(٣) السـكر في اصطلاح العرفاء: «السـكر: غيبة بوارد قويّ، والمراد بالغيبة عدم الإحساس، فمن غاب بوارد قويّ، سـمِّي سـكرانًا، وذلك أنَّ العبد إذا كوشـف بنعت الجـمال الذى.. حصل له السكر، وطرب الروح، وهيام القلب، فإذا عاد من سكره سمِّي صاحيًا.
والصحو مختصٌّ بأهل السـماع، فإنَّ السكر أن لا يسـمع، ولا يفهم، كما أنَّ السكر حال صاحب الرؤية عندما ينقهر تحت سلطنة الجمال، ولهذا أنشدوا:

فصحوك من لفظي هو الأصل كلّه وسكرك من لحظي يبيح لك الشربا
فما ملَّ ساقيها وما ملَّ شارب عفار لحاظ كأسه يسكر اللبا

و ما يخفى أنَّ الصحو والسكر بعد الذوق والشرب، وقد يعنى بالسكر رؤية الغير والغيريَّة، ويقابله صحو.. و قد يفسَّر السكر بأنَّه حالة للنفس ترد عليها من عالم القدس يؤدِّي بها إلى ما هي بصدده من النظام المتعلِّق بعالم الأجسام، بحيث يوجب الاختلال في الحركات والسكنات. ويقال الصحو، ويراد به الرجوع عن تلك الحالة، بحيث يزول ذلك الاختلال الواقع في النظام، والعود إلى ما كان عليه بالتمام». لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام: ٢/ ٤٣٥.
وينقل المرحوم محمَّد بن أبي جمهور الاحسائيّ (ت٩٣٠هـ) في (المجلي)، عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «إنَّ لله تَعَالَى شَرَابًا لِأَوْلِيَآئِهِ إِذَا شَرِبُوا سَكِرُوا، وَإِذَا سَكِرُوا طَرِبُوا، وَإِذَا طَرِبُوا طَابُوا، وَإِذَا طَابُوا ذَابُوا، وَإِذَا ذَابُوا خَلَصُوا، وَإِذَا خَلَصُوا طَلَبُوا، وَإِذَا طَلَبُوا وَجَدُوا، وَإِذَا وَجَدُوا وَصَلُوا، وَإِذَا وَصَلُوا اتَّصَلُوا؛ وَإِذَا اتَّصَلُوا، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حَبِيبِهِمْ»: ٥٣٦.
(٤) من (أ) و(ب).
(٥) من (أ) و(ب).
(٦) من (ج).
(٧) سقطت من (أ).

في مرتبة [معرفة][1] علم التوحيد، وما لم يصل السالك إلى هذا المقام لا يدرك قومه وارثه [فوقه][2]، كالصبي الذي لا يدرك ذوق [فوق][3] البلوغ، وإن كثر له الإخبار عنه.

ثمَّ لم يقنع كميل مرتبة [بمرتبة][4] حقِّ اليقين، والتمس منه[5] عليه السلام مرتبة حقيقة حقِّ اليقين [المعرفة][6]، فأجاب عليه السلام: «**نُورٌ يَشْرُقُ مِنْ صُبْحِ الأَزَلِ، فَيَلُوحُ عَلى هَياكِلِ التَّوْحِيدِ آثارُه**».

يعني: إنَّ من ينفي الاثنينيَّة، ويتمكَّن من التوحيد الحقيقيّ، ولم يرَ في الوجود سوى [الله][7] المعبود، [و][8] تجلَّى الحقُّ عليه بصفاته الذاتيَّة، فعند ذلك يكون عبدًا ربَّانيًّا. وهو، وإن كان بين الخلق، يكون مع الحقِّ والحقُّ معه [فالحقّ معه][9]، فبالحقِّ يسمع، وبه يبصر، وبه ينطق، وبه يبطش، كما ورد في الحديث الرَّبانيّ: «**لا يزال العبد يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أحببته، فإذا أحببته؛ كنت له سمعًا وبصرًا ولسانًا ويدًا، وبي يسمع، وبي يبصر، وبي ينطق، وبي يمشي**»[10].

وقوله عليه السلام: «**نُورٌ يَشْرُقُ مِنْ صُبْحِ الأَزَلِ فَيَلُوحُ عَلى هَياكِلِ التَّوْحِيدِ آثارُه**» إشارة

(١) من (أ) و(ب).
(٢) من (أ).
(٣) من (أ) و(ب).
(٤) من (أ) و(ب).
(٥) سقطت من (أ) و(ب).
(٦) من (أ).
(٧) من (ج).
(٨)) من (ج).
(٩) من (أ).
(١٠) عوالي اللآلئ: ٤/ ١٠٣.

إلى هـذا؛ فالنـور الـذي يـشرق من صبـح الأزل، هـو الكناية عـن الحقيقـة، وهياكل التوحيـد عـن السـلَّاك الواصلـين إلى الحـقِّ، المشرقـين بتحلِّي[بتجـلِّي][1] الصفـات الذاتيَّة.

ولفظ «آثاره» [إشارة][2] إلى أنَّه لا يكون تجلِّي نور الحقيقة على الدوام، [بل يكون آثاره متجلِّية [متحلِّية][3] عليهم [بالدوام][4].

ثـمَّ جاوز كميل حـدَّ المعرفة، وكاد يـشرع في مقامٍ لو طار طائـر لاحترق جناحه، ولـمَّا سـأل الزيادة عن [عليّ][5] هذه المرتبة، التي هي[6] مرتبة الوصول، أجاب عنه عليه السلام: «أَطْفِىءِ السِّـراجَ؛ فَإِنَّ الصُبْحَ قَدْ طَلَعَ»، ومنع عن هذا.

واعلـم أنَّ هذه المرتبة آخر مراتب الكمال والسـلوك، و «ليس وراء عبَّادان قرية»، وهي مرتبة الوصول، ولهذه المرتبة بداية ووسـط ونهاية؛ فالنهاية لمحمَّد صلى الله عليه وآله، والوسـط لعليّ عليه السلام [نيابةً عنه][7]، والبداية لمريديه ومتتبِّعي آثاره على وجه الشريعة والطريقة حذو النعـل بالنعل، والقذَّة بالقذَّة نيابـةً عنه. فالمريد يأخذ[8] المعـارف والحقائق من الوليّ، والوليّ يأخذ من النبيّ، والنبيّ يأخذ من الحقِّ.

وهـذه المرتبة العليَّة موجودة لأمَّة محمَّد صلى الله عليه وآله، ولذا [لهذا][9] كانوا خير الأمم، وتمنَّى

(١) من (أ) و(ب).
(٢) من (أ).
(٣) من (ب).
(٤) من (أ) و(ب).
(٥) من (أ).
(٦) في (أ): «نهاية» بدل: «التي هي».
(٧) من (أ) و(ب).
(٨) في (ب) زيادة لفظ: (مثل).
(٩) من (أ).

جميع الأنبياء أن يكونوا منهم؛ لأنَّهم عاينوا بنور النبوَّة أنَّه يكون لأمَّة محمَّدﷺ هذه المرتبة.

وقالﷺ: «**علماء أمَّتي كأنبياء بني إسرائيل**»[1]؛ وهم العالمون بأحكام الشريعة ودقائقها ظاهرًا، العارفون بأسرار الطريقة وحقائقها باطنًا، وليس كلُّ عالمٍ بالفقه وأحكام الشريعة من هؤلاء العلماء، بل هم العالمون والراسخون في العلم، المتكلِّمون، من أولياء الله العظام.

ثُمَّ اعلم أنَّ لليقين مراتب:

أولاها[2]: اليقين المجرَّد بواسطة التقليد المحض، والتصديق بقول النبيِّﷺ، بحيث لا يدخل الشَّكُّ والوهم والظنُّ فيه.

وثانيها[3]: اليقين الذي حصل بعد التقليد بواسطة العلم من جهة البرهان العقليّ.

وثالثها[4]: اليقين الذي حصل بواسطة المشاهدة.

ورابعها: اليقين الذي حصل[5] بواسطة القرب.

وخامسها: اليقين الذي حصل بواسطة الوصول.

وهذه اليقينات الثلاثة حاصلة للسالكين [للسالك][6] دون غيرهم[ه][7].

(١) بحار الانوار ٢: ٢٢.
(٢) في (أ) «أوَّله»، وفي (ب): «أوَّلها».
(٣) في (أ): «وثانيه».
(٤) في أ): «ثالثه».
(٥) «الذي حصل» ساقطة من (أ).
(٦) من (أ) و(ب).
(٧) من (أ) و(ب).

وأنا أضرب لك مثلًا تفطن به مراتب اليقين؛ و هو أنَّ دِهقانًا[١] عارفًا بأسرار الدهقنة، إذا أخبر أحدًا لم يرَ في عمره الشجرة والثمرة، بأنَّ في موضع كذا شجرة، يخرج منها زهر يحوَّل [تحوَّل][٢] ثمره [ثمرة][٣]، إذا أكلتها وجدت ذوقها، فمثل المخبر إلى ذلك الموضع، وشاهد الشجرة، ثمَّ الزهرة، ثمَّ الثمرة، ثمَّ أكل من الثمرة، ووجد ذوقها، وحصل له كمال اليقين بأنَّ الدِّهقان كان صادق القول، فتصديق الدِّهقان أوَّلًا بلا ظهور بيِّنة مجرَّد اليقين الحاصل من التقليد الصِّرف، ورؤية الشجرة بمنزلة عين اليقين؛ لأنَّه حصل له إيقان زائد على المرتبة الأولى [السالفة][٤] بواسطة[٥] المشاهدة، ورؤية الثمرة بمنزلة مرتبة حقِّ اليقين؛ لأنَّه حصل له إيقانٍ زائدٍ على المرتبة السابقة.

وما قلت في شرح هذه الكلمات -الجامعة جميع الكمالات، وأصول الطريقة والحقيقة- ذرَّة من جبل البيان، وقطرة من بحر العرفان، وما كنت مأذونًا بأن أطوِّل الكلام فيها؛ لأنَّ إفشاء أسرار [سرِّ][٦] الربوبيَّة كفر، وما جرى [جريت][٧] لشعف

(١) الدِّهقان، بكسر الدَّال، ويقال: بضمِّها: لفظ فارسيّ معرَّب، يُطلق في اللغة على القويِّ على التصرُّف مع حدَّة، وعلى رئيس القرية، وعلى التَّاجر، وعلى مَن له مال وعقار. ويُقال: دهقن الرَّجل وتدهقن؛ أي كثر ماله. ودهقنوه؛ أي جعلوه دهقانًا. و الجمع دهاقين. وقال القاضي عيَّاض: هم زعماء فلَّاحي العجم ورؤساء الأقاليم، سمُّوا بذلك لترفُّههم وسعة عيشهم. من الدَّهقنة، وهي تليين الطعام.
أمَّا في الاصطلاح الفقهيّ، فيُطلق الدِّهقان على ربِّ الأرض، ويقابله الزَّرَّاع و الأكَّار. القاموس المحيط: ١٥٤، المصباح: ١/ ٢٣٩.
(٢) من (ج).
(٣) من (أ) و(ب).
(٤) من (أ).
(٥) العبارة من «بواسطة» إلى «على المرتبة السابقة» ساقطة من (أ).
(٦) من (أ).
(٧) من (أ).

أخي في الدين بإدراك [لفهم][1] معاني هذه الكلمات، وليكون له محرصًا[2] إلى السلوك، وهاديًا إلى سبيل الحقِّ.

فهذه المعاني أوردت[3] [وردت][4] على البال بإلهام الملك المتعال، من غير رويَّةٍ وتأمُّلٍ وتفكُّرٍ وتدبُّرٍ[5] في المجلسَين[6] [مجلسين][7].

فالمسؤول من كرم أخلاق الناظرين النظر [أن ينظروا][8] فيها بعين البصيرة، والتأمُّل [يتأمَّلوا][9] فيها عن حالٍ صادقة، ووقت واهب[10] [دون كاذبة][11]؛ لتقفوا [ليقفوا][12] على رموزها وحقائقها وإشاراتها ودقائقها، ويعرفها همَّة علوِّ السالك الطالب، حيث لم يقنع بما دون الأفلاك، واجتهد حتَّى وصل إلى نهاية مراتب الإدراك، ويعلموا كمال المعرفة المسؤول، وإرشاده للطالبين، وتعمُّقه في بحار مراتب الحقيقة لوجه [و][13] اليقين[14].

(١) من (أ).
(٢) في (أ): «وليكون ينفع على السلوك».
(٣) في (أ): «ووروده على البال».
(٤) من (ب).
(٥) في (أ) و(ب): «وتدبُّر وتفكُّر».
(٦) سقطت من (أ).
(٧) من (ب).
(٨) من (أ) و (ب).
(٩) من (أ) و (ب).
(١٠) من (أ).
(١١) من (ب).
(١٢) من (أ) و (ب).
(١٣) من (أ).
(١٤) الى هذا الموضع تنتهي نسخة (أ).

ورزقنا الله تعالى، ورزق جميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الثبات على الصراط المستقيم المعبَّر عنه بالشريعة والدِّين القويم، وحشرنا في زمرة المؤمنين المتَّقين، العارفين الواصلين، من الأنبياء والأولياء والأئمَّة والمشايخ، من الأوَّلين والآخِرين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّه محمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين، آمين يا ربَّ العالمين[1].

(١)

وقد فرغت من مراجعة الشرح، والتعليق عليه، والتقديم له، في اليوم الثالث عشر من رجب الأصب سنة ١٤٤٢هـ.

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ الْمُعْجِزَاتِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ نَزَلَتْ فِي فَضْلِهِ سُورَةُ بَرَاءَةَ وَالْعَادِيَاتِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ كُتِبَ اسْمُهُ فِي السَّمَاءِ عَلَى السُّرَادِقَاتِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُظْهِرَ الْعَجَائِبِ وَالْآيَاتِ..». إقبال الأعمال: ٢/ ٦٠٩.

نسال الله بحقِّ محمَّد وآله أن يوفِّقنا في العلم والعمل.

أيُّوب ناصر نعمة الحسينيّ الفاضليّ.

قم المقدَّسة.

مراجع التقديم والتحقيق والتعليق

١. أخبار الحلَّاج أو مناجيات الحلَّاج، حسين بن منصور حلَّاج، التكوين، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م.

٢. الإسلام وإيران، الشهيد مرتضى المطهَّريّ، ترجمة الشيخ محمَّد هادي اليوسفيّ الغرويّ، رابطة الثقافة والعلاقات الدوليَّة، طهران، إيران، ١٤١٧هـ.

٣. أعيان الشيعة، السيِّد محسن الأمين، حقَّقه وأخرجه حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٣م.

٤. أوصاف الأشراف، الحكيم نصير الدين الطوسيّ، ترجمة الجرجانيّ، لم يُذكَر فيه مكان الطبع وتاريخه.

٥. أوصاف الأشراف، المحقِّق نصير الدين الطوسيّ (بالفارسيَّة)، وزارت فرهنگ وارشاد اسلامي، طهران، ايران، ١٣٦٩ش.

٦. البرهان، حسين بن عبد الله ابن سينا، تحقيق أبو العلاء العفيفيّ، قم، انتشارات مكتبة المرعشيّ، ١٤٠٤ق.

٧. التعريفات الفقهيَّة، محمَّد عميم الإحسان مجدِّدي بركتي، دار الفضيلة، مصر، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ.

٨. التعريفات، عليّ بن محمَّد الجرجانيّ، انتشارات ناصر خسرو، ط ٤، ١٩٩٠م.

٩. جامع الأسرار ومنبع الأنوار، السيِّد حيدر الآمليّ، المحجَّة البيضاء، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ.

١٠. جامع العلوم، عبد الرسول النگريّ، مطبعة دائرة المعارف النظاميَّة بحيدر آباد دكن، الهند.

١١. الرسائل المختارة، للمحقِّق الدوَّانيّ، مير محمَّد باقر داماد، الرسائل المختارة، أصفهان، إيران.

١٢. روضة المتَّقين في شرح من لا يحضره الفقيه، الشيخ محمَّد تقي المجلسيّ، مؤسَّسة كوشانبور للثقافة الإسلاميَّة، قم، إيران، ١٤٠٦هـ.

١٣. ديوان رباعيَّات أوحد الدين كرمانى، سروش، تهران، چاپ: أول، ١٣٦٦. (بالفارسيَّة).

١٤. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الآقا بزرگ الطهرانيّ، دار الأضواء، لبنان، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

١٥. عوالي اللئالي العزيزيَّة في الأحاديث الدينيَّة، ابن أبي جمهور، محمَّد بن زين الدين، دار سيِّد الشهداء للنشر، قم، إيران، ١٤٠٥هـ.

١٦. القاموس المحيط، مجد الدِّين محمَّد بن يعقوب الفيروزآباديّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٢ هـ.

١٧. كلمات المحقِّقين، طبعة حجريَّة.

١٨. مجله معرفت = مجلَّة المعرفة. (بالفارسيَّة).

١٩. المجلي مراة المنجي في الكلام والحكمَتَين والتصوُّف، لابن أبي جمهور، إحياء التراث، بيروت، لبنان.

٢٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعيّ، أحمد بن محمَّد بن عليّ المقريّ الفيُّوميّ، مصر، ١٣٤٧هـ.

٢١. معجم مصطلحات الصوفيَّة لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام، عبد الرزاق الكاشانيّ، دراسة وتحقيق سعيد عبد الفتَّاح، الهيئة المصريَّة للكتب، ٢٠٠٧م.

٢٢. المعجم الفلسفيّ، الدكتور جميل صليبا، الشركة العالميَّة للكتاب، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ.

٢٣. معرفة الله، السيِّد محمَّد حسين الطهرانيّ، المحجَّة البيضاء، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ.

٢٤. معجم التراث الكلاميّ، الشيخ جعفر السبحانيّ، مؤسَّسة الامام الصادق عليه السلام، قم، إيران.

٢٥. المقدِّمات من كتاب نصِّ النصوص، السيِّد حيدر الآمليّ، پژوهشهاي علمي در إيران، تهران، ط١، ١٩٧٠م.

٢٦. مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ، السيِّد عبد العزيز الطباطبائيّ.

٢٧. ميراث حديث شيعة، مهدي المهريزيّ، موسسه علمى فرهنگى دار الحديث، سازمان چاپ ونشر، إيران، قم، چاپ: ١، ١٣٨٠هـ.ش. (بالفارسيَّة).

٢٨. هداية العارفين أسماء المؤلِّفين وآثار المصنِّفين، إسماعيل باشا البغداديّ، وكالة المعارف الجليلة، إسطنبول، تركيا، ١٩٥٥م.

٢٩. هزار ويك كلمة، الشيخ حسن زاده الآمليّ (بالفارسيَّة)، بوستان كتاب، قم، إيران، ١٩٨٥م.